روان عبد الكريم

هذا الزبون السمج الذي يصر على حلاقة ذقنه في الواحدة صباحًا في هذه الليلة الشتوية شديدة البرودة وقد خلا الطريق من المارة، وانطفأت الإضاءة في الشارع وهممت بإغلاق المحل. ضحكت بخبثٍ لإصراره، معتوه من يضع رقبته تحت شفرة الحلاق، أعني صبي الحلاق.

"تشير تحقيقات النيابة المحفوظة في الأرشيف أن هذه الجريمة لم يعرف فاعلها قَط.. ولم يستطع الطب الشرعي تفسير اختفاء رأس صبي الحلاق دون أن تخلف وراءها قطرة دم واحدة..

وأغلق المحضر على هذا- القاهرة –شتاء 1950"

¤¤¤

تسارعت خطواته وهو يسير على الطريق الترابي المشبع بماء المطر وقت الغروب في ليلة شتوية شديدة البرودة، تكاد الريح تطيح به من شدتها إلا أن العزم المرتسم على وجه يشير لأمر خطيرٍ وقد تشبثت يده بشده بكيس أسود صغير. حينما وصل لمقبرة العائلة في مقابر البساتين كان الظلام بدأ يخيم بالفعل، عالج القفل الصدئ بمهارة وقلبه يرتجف بشدة ثم أطاح بالكيس الأسود وما بداخله داخل ظلام المقبرة، لا يعرف كيف عاد لمنزله وقد استقبلته زوجته المتشحة بالسواد بعينين دامعتين: "هل دفنتها معها؟" ترقرقت دموعه وهو يحتضنها وعيناه على صورة ابنته المتوفاة ذات الخمسة أعوام لا يصدق حتى الآن أنه تسبب في موتها حينما ابتاع تلك الدمية القماشية القاتلة التي التفت ذراعيها حولها وخنقتها، في البداية لم يستوعب الصورة لكن بعد عدة من وفاة ابنته في الرابعة صباحًا وفي نفس توقيت وفاتها تتحرك الدمية بأصوات صاخبة منادية: "بابا.. بابا". مزقها شرق تمزيق ثم وجدها كما هي سليمة، حرقها ولكن هذا لم يغير

من هيئتها شيئًا، تجمع نفسها بطريقة ما، أخبره بعض العارفين ببواطن الأمور أن هذه الدمية صنعت من ملاءات إحدى المستشفيات الملطخة بدماء القتلى، وأنه لا سبيل للتخلص منها سوى بدفنها مع ابنته، تردد في البداية لكنه لم يجد مناصًا من هذا. ربت على يد زوجته: "لا تخافي كل شيء سيسير على ما يرام" لكنه ارتجف بشدة حينما سمع صوت ابنته يتردد من غرفتها: "بابا بابا" كانت تقف بعينين مجوفتين وقد تساقط بعض جلد وجهها وبهت لون شعرها الجميل وهي تهمس: "بابا" وتشير للسرير "صوتك عالٍ لا تزعج دميتي فهي نائمة"

¤¤¤